المجلة الجغرافية التونسية
عدد 19 - 1990 - ص : 85-94
علي التومي وكارم داسي

حول المصطلحات والاستعمالات اللغوية في الجغرافيا

دأب الجغرافيون التونسيون منذ حوالي خمس عشرة سنة في تعريب تدريس مادة الجغرافيا ، مواكبين في ذلك اختيارا رسميا مشروعا. وكان المجهود جبّارا اذ أن تكوين الأجيال الأولى من الجغرافيين التونسيين وكذلك تدريس مادة الجغرافيا ، كغيرها من المواد الأخرى العديدة ، اعتمدا اللغة الفرنسية مدة سنين طويلة. ولم يضاه الصعوبات الجمّة التي كانت تلوح في أفق مشروع التعريب سوى اقتناع الجامعيين بضرورة تركيز تعليم مستقل، وكذلك طموحهم الى إرساء قواعد جغرافية تونسية أصيلة. ولم تكن تلك الضرورة وهذه الطموحات لِتُنسيَهم كذلك عسر التطبيق لما تتطلبه مهمة التعريب من حذرٍ كبير في اختيار المصطلحات وفي ضمان تطابقها الكلي مع المفاهيم المقصودة، وذلك بالاستناد الى منابع لغوية سليمة.

فهكذا تم تعريب تدريس العديد من فروع الجغرافيا، في بلادنا ، وأنجزت البحوث ونشرت عدة مؤلفات باللغة العربية ، منها «معجم الجغرافيا الفرنسي العربي» الذي صدر في أواسط الثمانينات ، والذي يعدّ اسهاما قيّما في تعريب الجغرافيا، ولبنة أولى واعدة تعبّر عن المنحى العلمي الذي تم اعتماده. واذ أن التعريب يتطلب مجهودا متواصلا ، نعتقد أنه بالإمكان دعم هذا العمل ، بما يلزم من اضافات أو تعديلات ، نظرا لما تتسم به العلوم الجغرافية من حركيّة وتطور. كما نعتبر من جهة أخرى أن التعريب الموفق هو ذلك الذي يحرص كذلك على تثبيت استعمالات لغوية بليغة لا تشوبها شائبة ، والذي يحافظ على سلامة اللغة العربية ويحيى من كنوزها مفردات نُسِيت ويصوّب عبارات شُوِّهت.

ففي هذا الاطار ارتأينا أن نسهم من ناحيتنا في هذا المجهود بما أمكن ونقترح أن يكون ذلك في شكل حلقات متتابعة تعرض في كل واحدة منها ، جملة من المصطلحات الجديدة أو المراجعة ، وهذه مجموعة أولى منها :

1 - **الانجاب والخصوبة** : تعوّد الجغرافيون وكذلك الاجتماعيون على استعمال لفظ «الخصوبة» كترجمة للمصطلح الفرنسي (Fécondité) ، الاّ أن هذا الاستعمال يفضي بالضرورة الى الخلط مع مفهوم آخر ، هو ذلك الذي يفيده المصطلح الفرنسي (Fertilité) ، في حين أنه لا مجال ممكن للخلط بين المفهومين الذين يعنيهما لفظا Fecondité و Fertilité. فعلا يلحّ الديمغرافيون (ارجع مثلا الى : R. Pressat Dictionnaire de Démographie:) وهم على حق في ذلك، على ضرورة عدم الخلط بين المفهومين لاختلافهما الكلي. فمصطلح (Fertilité) يعني تلك الطاقة البيولوجية التي قد يتمتع بها المرء أولا يتمتع ، لكي ينجب ، الاّ أن هذه الطاقة تبقى كامنة - عند توفرها طبعا - اذا لم يتم استغلالها. مثالها في ذلك

مثل الأرض التي قد تحتوي بصفة طبيعية على خصوبة تجعلها قابلة للانتاج. فهذه الحال تتفق تماما مع ما تفيدنا به لغةً، عبارة «الخصوبة». ولكي تتجسم هذه الخصوبة بمنتوج ما، لا بد من توفر عدة ظروف أساسها البذرة والماء والهواء، الخ... كذلك المرء، لابد لكي ينجب أن تنضاف الى خصوبته ظروف استغلال تلك الخصوبة، أي ظروف الجماع ، الذي قد يفضي الى إنجاب. فالانجاب حينئذ (La fécondité) يتجسم حتما بعملية الولادة ، في حين أن الخصوبة (La fertilité) قد تبقى كامنة اذا ما لم تتوفر ظروف استغلالها. فهكذا نقترح، دفاعا عن استعمال لغوي سليم ، أن تخصص عبارة «انجاب» كمعادل للعبارة الفرنسية Fécondité وألاّ تستعمل لفظة الخصوبة الاّ في حدود مفهومها اللغوي الدقيق أي الذي يتفق والعبارة الفرنسية: Fertilité .

2 - **السٌقي** : السِّقي (بجرّ السّين) اسم مشتق من سقى يسقي سقياً (بفتح السّين) ومعناه كل ما سُقي من زرع أو أرض. فلكي نتحدث هنا عن سِقي (بكسر السين) لا بد من توفّر شرط أساسي هو اعتماد الرَي لانتاج زراعي معيّن على مساحة فلاحية محدودة. تتفق هذه العبارة اذا مع ما اصطلح على تسميته في كلمتين وبأشكال عدّة : المساحة السقوية أو المنطقة السقوية أو الأرض السقوية ، وفي ذلك شيء من الإستسهال بما أن الاستعمال الفرنسي Périmètre irrigué يعدّ أقرب الى مصطلح «المساحة السقوية» من قربة الى الاستعمالين الآخرين. لذا نقترح تخصيص هذا المصطلح الأخير لمفهوم Périmètre irrigué ، مع دعمه بمصطلح آخر يرد في كلمة واحدة - وفي ذلك استفادة لغوية وعملية متأكدة - هو لفظ السّقي (بكسر السين) وجمعه أسقيَةُ (بكسر القاف). هذا على أن يخصص استعمال «المَنطقة السقوية» و«الأراضي السقوية» تباعا للمعادلين باللغة الفرنسية :

Région de cultures irriguées و Terres irriguées.

3 – **المَسقَوِيّ والمَظْمَئِيّ**: دائما من نفس الأصل السابق، أي سقى، يشتق اسم «المَسْقَوِيّ» الذي يعني الزرع الذي يُسقى بالماء سقيا اضافيا، أي أنه لا يكتفي بالمطر. وتستعمل عبارة «المسقوي» اسما أو صفة، كقولنا هذا مسقويّ أو هذا زرع مسقويّ.

ويفيدنا ابن منظور والجوهري بأن العبارة التي تعارض «المسقوي» هي المظمئيّ ، وتعني الزرع الذي تسقيه السماء أي لا تزاد إليه كميات اضافية من الماء فالمظمئي أو الزراعات المظمئية عبارات ترادف مصطلح الزراعات البعلية.

واستعمل العرب لنفس المعنى لفظ «العذي» (بفتح العين أو كسرها)، وجمعه أعْذَاءٌ ومؤنثة عَذَاةٌ، جمعها عَذَوَات، وهو «الزرع لا يسقيه الاّ المطر» (منجد اللغة والاعلام – دار الشرق 1986) ويسمّى كذلك «البعل» وهو الأرض والشجر والزرع الذي لا يسقى بل يصيبه مطر قليل. ومنه استعمالنا «للزراعات البعلية» وعلى قياسه يمكن القول كذلك «الزراعات العذوية».

4 – الحضر والحُضّر : حضر المرء ، أي أقام بالحَضَر ، والحضر في «لسان العرب» هو خلاف البدو. والحضر أصلا هي القرية العامرة والمنازل الكثيرة المسكونة وهو المدن اصطلاحا. فكلمة الحضر حينئذ تعدّ مرادفا للمدن ولها مفهوم مجالي. الاّ أننا لاحظنا عند الطلاب استعمالا مستشريا رغم غلطه وهو «السكان الحضر». فهذا لا يستقيم لأنه يستعمل لفظ الحضر ، صفة لعاقل في حين أنه اسم لغير عاقل. وانما يجوز استعمال الكلمتين، بالاضافة عند قولك «سكان الحضر».

أما اذا ما رمنا الاختصار والبلاغة وتعويض اللفظين بواحد، فيستحسن عندئذ استعمال عبارة «الحُضّر» (بضم الحاء وتشديد الضّاد) وهي جمع «الحاضر» يعني ساكن الحضر أي المدينة ، وخلافها «البادي» أي ساكن البادية أو البدو. كما

يجوز استعمال الاسم الذي يفيد الصفة أي «الحضريّ» جمعها حضريّون ، خلافا للبدويّ جمعه بدويّون.

فهكذا ينبغي أن نستعمل عبارة «الحضّر» (بضمّ الحاء وتشديد الضاد) أو كذلك عبارة «الحضريّون» كمعادل للفظة الفرنسية Les citadins. أما اذا ما استعمل النعت الفرنسي Citadin فان الصفة «الحضري» هي وحدها التي يمكن استعمالها، اذا اقتصرنا طبعا على نفس الأصل.

ولعله من المفيد أن نذكّر بالمناسبة ببعض الاشتقاقات الأخرى ، مع ما يوازيها في اللغة الفرنسية :

- التحضّر : L'Urbanisation
- الحاضرة أو الحاضرة الكبرى : La Métropole
- الحوضرة : La Métropolisation
- التحضّريّة أو الحضارة (بكسر الحاء) : L'Urbanite

5 - **الرُّؤاسيّة** : اشتق هذا الاسم من عبارة «الرّؤاسيّ» وهي صفة معناها عظيم الرأس. فنقترحها حينئذ كمرادف مختصر في عبارة واحدة لاستعمالنا في الجغرافيا الحضرية لمفهوم «عظمة الرأس» التي تصيب الأنظمة الحضرية في بعض الأقطار عندما تفرز الظاهرة الحضرية هيمنة ساحقة للمدينة الأولى. فلفظ «الرّؤاسيّة» يعادل العبارة الفرنسية Macrocéphalie المستعملة هي كذلك مجازا للمفهوم المذكور. فاذا ما وصفنا الشبكة الحضرية على سبيل المثال نقول إنهارَأْسَاءُ (عوضا عن عظيمة الرأس). وعندما نصف النظام الحضري نقول إنه أرْأَسُ (أو عظيم الرأس).

6 - **التّجبّل** : تجبّل الرجل أي دخل الجبل وأقام فيه ، فهو متجبّل أي مقيم بالجبل. ولا يجب خلط ذلك بأجبل الرجل أي صار الى الجبل وقصده. فـ«المتجبّل» اسم فاعل موازٍ للعبارة الفرنسية Le Montagnard وجمعه «متجبّلون» ،

ونراه اختصارا سليما يعوضنا عن «ساكنو الجبال» أو «المستقرون في الجبال». أما التجبّل فهو حينئذ الاستقرار بالجبل، وليس له في الفرنسية، حسب علمنا، ما يوازيه في عبارة واحدة.

7 - **السُّهْلِيّ والسَّهِل** : السُّهلي هي النسبة الى السّهل، أي الأرض الممتدة المنبسطة في معناها العام والتي لا تغوص فيها المجاري المائية غوصا شديدا في معناها الجغرافي. فهذه النسبة تنطق بضم السّين وليس بفتحها. فتقول أرض أو منطقة سُهليّة، ونشاط أو استيطان سُهليّ، وإن كان أصلها، أيّ السّهل، منصوب السّين.

أما السَّهِل (بفتح السّين وجرّ الهاء) فهي صفة معناها ذو السِّهْلَة بجرّ السّين وسكون الهاء) وهي الرمل الخشن Les sables grossiers. فنقول أرض سَهِلَةٌ (بفتح السين وجرّ الهاء) وموطن سَهِلٌ (نفس الحركات).

8 - **الصّابة** : تتّفق المعاجم على أن لهذه العبارة ثلاثة معان : فالصابة ومذكرها «الصاب» هي صنف من الأشجار ذات اللّبن المرّ أو هي عصارة الشجر المرّ ذاتها. والصّابة كذلك هي المصيبة أي البليّة. والصابة هي أخيرا بعضٌ من الجنون وفقدان العقل.

يتضح لنا هكذا أنه لا يجوز بالمرّة أن نتحدث عن «صابة القمح» أو عن «ضعف الصابة»، الخ... وانما ينبغي أن نستعمل في ذلك الظرف عبارة «المحصول» وتوازيها باللغة الفرنسية كلمة Récolte. فاذا ما قلنا هذا عام صابة كبرى يعني ذلك أن هذا عام بلية عظمى، وهو تماما عكس ما يُقصد.

9 - **سَحَلَ** : سَحَلَ الشيءَ سحْلا، أي قشره ونحته وعرّاه، كالرياح تسحَل الأرضَ أو المجرى المائي يسحل صفافه

أو البحر يسحل شواطئه. فالسّحل مرادف لما تعنيه في الفرنسية كلمتا Erosion و Abrasion. ومنه اشتُقّ «الساحل» المعروف في اللغة والجغرافيا ويسمى كذلك لأنه ذو سَحْلٍ أي لحقه سَحْلٌ. فوردت العبارة في صيغة اسم فاعل وتفيد معنى اسم المفعول.

ومنه كذلك السُّحَالَةُ وهي كل ما سقط من المعادن ونحوها اذا ما سُحلت أي إذا ما بُرِدت.

10 - الأطلسي والأطلنطي : لقد شاع استعمال صفة «الأطلسي» كمرادف للأطلنطي. ويبدو لنا في ذلك استسهال يؤول الى خطإ ينبغي تداركه. فأصل «الأطلسي» هي عبارة «الأطلس» (Atlas) وهو ذلك الاله أو العملاق الذي حُكم عليه في الميثولوجيا الإغريقية برفع السماء على كتفيه وتُصُوِّرت جبال شمال افريقيا مقرّاً له. وتفيدنا الموسوعة البريطانية بأن الأوروبيّين هم الذين نسبوا في ما بعد تلك الجبال الى «أطلس» هذا ، استنادا الى الأسطورة الاغريقية فسُمّيت باسمه.

أما النعت «أطلنطي» فهو مشتق من كلمة Atlantis أو Atlantide وهي حسب ما ورد في كتابات القدامى ومن بينهم افلاطون خاصة، تلك الجزيرة -الوهمية ربّما- التي قد يكون «البحر المحيط» ، أو «بحر الظلمات» ابتلعها. ولم يكرّس استعمال كلمة «الأطلنطي» كنعت أو اسم للمحيط المعروف ، الاّ في فترة متأخرة نسبيا (أواخر القرن السادس عشر).

لهذا وجب تحاشي الخلط بين النعتين بموجب اختلاف مفهومي Atlasique و Atlantique ، وذلك بتخصيص صفة «الأطلسي» لكل ما ينسب الى السلسلة الجبلية الأطلسية ، وصفة «أطلنطي» الى ما يتعلق بالمحيط الأطلنطي. فقولنا على سبيل المثال : سهول أطلسية أي تقع داخل جبال

الأطلس، يختلف جذريا عن قولنا سهول أطلنطية ، أي تلك التي تقع على سواحل المحيط الأطلنطي. فلو تمادى الخلط بين هذا وذاك، ما الذي ينبغي أن نفهمه من عبارة «السهول الأطلسية» ؟ أهي المنسوبة الى الجبال أم الى المحيط ؟.

11 – النَّضَدُ والنَّضيدُ : نضد المرء الشيءَ نضْدا ، أي جعل بعضه على بعض (ابن منظور) أو ضم بعضه الى بعض متّسقا أو مركوما (منجد اللغة والأعلام – دار المشرق بيروت 1986). ومن هذا الأصل اشتق اسم «النَّضَد». والنضد من السحاب وجمعه أنْضَادُ هو السحاب المتراكم أو المتراكب. فهذا اللفظ يوافق استعمالنا لمصطلح «السحاب الطبقي» (Le stratus). وبامكاننا اختصاره في عبارة واحدة هي «النَّضَد». ومن فِعْلَيْ نَضَّد تنضيدا وتنضّد تَنَضُّدا ، يمكن استعمال المصدرين موازاةً للعبارة الفرنسية أو الأنقليزية Stratificationبقولنا «تنضيد الصخور » أو «تنضُّد الصخور» أي تراكبها وتراصفها.

وتبعا للهيئة الطبقية التي يفيدها فعل نَضَدَ ، يشتق أيضا اسم «النَّضيد» لأحد أصناف الصخور التي تتميّز من حيث الشكل بتلك الهيئة في طبقات متناضدة ، وهو الصخر المعروف بالكلمة اللاتينية Schiste. ويمكننا مجازا استعمال هذا الاسم في محل صفة عند قولنا «الزراعات النضيدة» كمرادف للاستعمال الفرنسي Cultures étagées.

12 – الكِرْثِئُ : كَرْثَأَ السحاب ونحوه أي كثر وتراكم. والكرثئ عند ابن منظور هو السحاب المجتمع المتراكم ، أي ما اصطلح على تسميته بالسحاب الركامي أو «سحب الركام» ، كما ورد عند محمد أحمد النطّاح في جزئه الأول من «الأرصاد الجوية» (1990).

نقترح حينئذ اضافة هذا المصطلح الوارد في عبارة

واحدة وهي «الكِرْثِئُ» الى استعمالاتنا الموازية للعبارة الغربية Cumulus.

13 - السِّمْحَاق والقَزَع : السّمحاق (بكسر السّين) وجمعه سماحيق ، اسم مشتق من سحق والميم مزيدة ، ومعناه عند ابن منظور «القطع الرقيقة من الغيم». ويعرّفها محمد أحمد النطّاح بأنها سحب بيضاء مرتفعة تظهر في [النطاق] المعتدل ، عند مقدمة التقلبات الجوية (ص 107 من المرجع المذكور) يوافق هذا التعريف المصطلح اللاتيني Cirrus. وتفيدنا المعاجم اللغوية العربية بأن للسِّمْحَاق مرادفات عدة ، اصطفينا منها لفظ «القَزَع» ومؤنثه قَزَعَةٌ وجمعه قزَاعٌ وهو في تعريف ابن منظور «قطع من السحاب ، رقاق كأنها ظل اذا مرت من تحت السحابة الكبيرة ».

14 - السُّفْلة والعلوة : السّفلة (بكسر السّين أو بضمها) من سفل سفلا ، تفيد معنى السّافلة وهي المنخفض من كل شيئ أو أسفله. والعلوة (بكسر السّين أو بضمها) من علا علوّا ، «هي من كل شيئ أرفعه» (ابن منظور) ، أي أنها ترادف كلمة «العالية». فكلّ من كلمتَي «السافلة» و«السّفلة» تعادل العبارة الفرنسية Aval ، في حين تعني عبارتا «العالية» و «العلوة» مفهوم كلمة Amont كقولنا مثلا عالية السيل أو علوته.

ويمكن استعمال عبارتي «العلوة» و «السفلة» استعمالا مجازيا للدلالة على أوج ظاهرة معيّنة أو حضيضها كقولنا : علوة الموسم السياحي أو سفلته بمعنى : La haute ou la basse saison touristique.

علي التومي وكارم داسي
(ماي 1991)

المراجـــع

- ابن منظور : لسان العرب. اعداد وتصنيف يوسف خياط - نديم مرعشلي دار لسان العرب - بيروت (بدون تاريخ).

- محمد النطّاح : الأرصاد الجوية. الجزء الأول - الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والاعلان - مصراتة ، 1990.

- معجم الجغرافيا: مؤلف جماعي من منشورات بيت الحكمة وكلية العلوم الانسانية والاجتماعية (بدون تاريخ).

- Coque (R.) : Géomorphologie. A.C. collec. V. Paris, 1977.

- Encyclopaedia britannica Inc. William Benton Publisher. London. 1960.

- Estienne (P.) et Godard (A.) : Climatologie. A.C. collec. V. Paris, 1979.

- George (P.) Dictionnaire de la Géographie. P.U.F. Paris, 1979.

- Pressat (R.) : Dictionnaire de Démographie. P.U.F. Paris, 1979.